مشروع إبليس في إغواء بني آدم عليه السلام

الكاتب : عبد المنعم نعيمي

التاريخ : 7 مايو 2015 م

المشاهدات : 10395

لن يكون لإبليس الرجيم أيَّة فرصة لتَناله رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، أمَرَه الله تعالى بالسجود فأبى واستكبر؛ أي: عصى أمر الله تعالى، بل ورأى في نفسه الخيرية والأفضلية على آدم عليه السلام، فلم يسجد له سجود التحية والتعظيم كما أمره الله تعالى، فكان جزاؤه الأوفى قولَه ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: 34، 35].

والسؤال: هل حاول إبليس أن يستدرك ما ارتكب مِن جريمة في حق نفسه، مع إيمانِنا أن الله تعالى لا يضرُّه جرم المُجرِمين كما لا تنفعه طاعة الطائعين؟

والجواب بَيِّن الوضوح: لم يُكلِّف إبليس نفسه الخبيثة أن يُحرِّك ساكنًا أو أن يُقدِّم سببًا أو يرفَعَ عُذرًا، والله تَعالى أعلم بخبثِه ومكرِه، ونفخه ونفثِه وكبره، كيف له أن يفعل وقد أبى إلا أن يُمعن في شيطنته وإبلاسه وخصومته لربه ـ تبارك وتعالى؟! وقال مقالتَه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: 36 ـ 40].

نعم؛ إبليس الملعون لم يَكتفِ بالاستعلاء على أمر ربه والاستكبار على خلقه، بل سأل ربه مُهلةً ليُنفِّذ مشروعه في إبلاس بني آدم وتأييسهم من روح الله تعالى ورحمته، كما أيسها هو عليه لعنة الله تعالى وملائكته والناس أجمعين.

لم يُرد الله تعالى لإبليس الرجيم أن يهتدي وقد أضاع طريق الهداية، وتهيَّأ منذ البداية ليسلك غير سبيل الهُدى والرشاد، فأجاب مسألته؛ كذلك ليُمحِّص الله تعالى خلقَه، ويميِّز مِن عباده الخبيثَ الذي يُطيع إبليس ويُوافقه، والطيِّب الذي يعصيه ويُخالفه.

أحبَّتي، إنَّ إبليس الرجيم ماضٍ في مقالته، ماضٍ في مشروعه، ماضٍ في مخطَّطه، ماضٍ في مَكره، ماضٍ في إغواء خلق الله سبحانه، وإبعادهم عن منهج الحق، يتحرَّى مواضع ضعفِهم، ومكامن غفلتهم؛ ليُفسد عليهم إيمانهم وعبادتَهم، ويذهب بطمأنينة قلوبهم.

فقد صحَّ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ إبليس يضع عرشَه على الماء ثم يبعَث

سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يَجيء أحدهم، فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثم يَجيء أحدهم، فيقول: ما تركتُه حتى فرقتُ بينه وبين امرأته، قال: فيُدنيه منه، ويقول: نعم أنت))، قال الأعمش: أراه قال: ((فيَلتزمه))[1].

أعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ هذا الحديث: إخبارٌ من النبي صلى الله عليه وسلم بأحد الأسباب الحقيقية والموضوعية التي تَقِف وراء إفساد العلاقات الأسرية تحديدًا، والعلاقات الاجتماعية بشكل عام، وأن كيد إبليس في ذلك حقيقي لا مناص منه، وأن المتعيَّن علينا لزامًا التنبُّه إلى مشروع إبليس في غَواية الخلق الآدمي وإفساده.

تأمَّلوا يَرعاكم الله تعالى برعايته ويَحفظكم بحفظِه: هذا التغيير في خلق الله تعالى بما اصطلح على تسميته: "العمليات التجميلية"؛ والتي أجازها وأقبل عليها خلق كثير تحت عنوان: "الموضة"، وباسم التقدم والتحضر والتمدُّن الزائف؛ هذا شطف للدهون، وهذا نمص للحاجب، وهذا وَشْرٌ وتَفْلِيجٌ للأسنان، وهذا وصل للشَّعر، وهذا تضخيم لبعض الأعضاء وتنحيف لبعضها الآخر، وشبهه من هذا التغيير الإبليسي الذي يندرج ضمن مُخطَّط إبليس في إغواء أناسيّ الخلق مِن ولد آدم عليه السلام، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ [النساء: 119].

بل إنَّ ما نراه اليوم ونسمعه ونُشاهده من إلحاد وردَّة وكفر بلغَت ببعضِهم حدَّ أن أسلَمَ نفسَه للشيطان فصار له عبدًا، واتَّخذه ربًّا معبودًا ـ والعياذ بالله جلَّ وعلا ـ (وهم المَعروفون بعبَدَةِ الشيطان والعياذ بالله ـ جلَّ في العُلا) ـ هو أيضًا من وحي التغيير الشيطاني الذي يقع في دائرة توجُّه إبليس نحو إغواء الخلق الآدمي؛ كما في الآية التي تقدَّمت معنا: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾.

ومِن علامة هؤلاء أنهم يُغيّرون في أجسادهم تغييرًا بَشِعًا فظيعًا كريهًا، يجعل منهم مسخًا لا جمال فيه ولا بهاء، تقرُّبًا للشيطان، والعياذ بالله تعالى، حتى إنَّ بعضهم راح يُشوِّه بدنه بالجرح والشق والوشم والغرز بالسكاكين والأسياخ، ومنهم مَن راح يجعل في رأسه قرنًا، وفي فمِه أسنانًا حادَّة كأنياب الحيوان المفترس!

لكن يظلُّ كَيد إبليس الرجيم ضعيفًا لا ينال ـ بحمد الله تعالى ـ عباد الله المؤمنين المُخلِصين، وهو نفسه لعنه الله تعالى يُقِرُّ بضعف تأثيرِه عليهم؛ فقال ـ كما حكى عنه القرآن الكريم ـ: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: 40].

وأخبَرَ الله تعالى أيضًا بضَعف كيد الشيطان ووهن سلطانه على أهل الإيمان فقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: 42]، وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: 65]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: 20، 21].

أحبَّتي، هذا طرف مِن كيد إبليس الرجيم، للأسف هو لا يُهادن حتى تُسلم روحه الخبيثة إلى بارئها، ولا يَرتاح له بال حتى يرى أبناء آدم يُساقون إلى جهنم زُرافات زُرافات تترى، حسدًا وبُغضًا لأبينا آدم الذي كرَّمه الله تعالى وبَنيه على الخَلقِ وفضلهم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا، وآخِرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[1] رواه مسلم وأحمد.

الألوكة

المصادر: